منهج أبي زكرياء الفراء في كتابه "معاني القرآن"

الدكتور/ مصطفى أكرور.
رئيس قسم اللغة والحضارة الإسلامية
بكلية العلوم الإسلامية
-جامعة الجزائر-

معاني القرآن للفراء[1] أول كتاب وصل إلينا تمثل فيه النحو الكوفي فهو بمثابة كتاب سيبويه للنحو البصري.

ويعد الفراء من كبار علماء الكوفة في النحو وغيره وكانت له مساهمة في ضبط العربية، ومن مؤلفاته في علوم القرآن وغيرها " معاني القرآن" و" المصادر في القرآن" و"الجمع والتثنية في القرآن" و" الوقف والابتداء" و" كتاب النوادر" وكتاب آلة الكتاب" و" كتاب الحدود".

ويذكرنا هذا الكتاب أي كتاب معاني القرآن " للفراء" بكتب المعاني التي نجدها في جوانب الثقافة الإسلامية، فهناك كتب المعاني في الأبيات الشهيرة مثل"كتاب المعاني" لابن قتيبة.

وهناك كتب المعاني في مشكل الحديث مثل كتاب "معاني الآثار" للطحاوي. وهناك كتب المعاني في القرآن مثل كتابنا الذي نحن بصدد دراسته الآن.

1-وكتاب: "معاني القرآن"[2] هو العنوان الشائع بين المشتغلين بالعلم، أما الفراء فقد ذكر العنوان في مقدمة كتابه كما يأتي " تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه".

وهذا العنوان بهذه الصيغة يلقي ضوءا ساطعا على واقع الكتاب فالإعراب- ولا سيما المشكل- هو هم المؤلف الأول.

2-ليس معنى هذا خلوه من شرح المعنى، بل إن تفسير المعنى مقصد سعى إليه المؤلف كما يدل ذلك العنوان، غير أنه لا يشكل حيّزا كبيرا إذا قيس بالإعراب والقضايا النحوية.

3- يدل الكتاب على ثقافة نحوية واسعة كان يتمتع بها.

كما يدل على معرفة ممتازة بلهجات الأعراب ولغاتهم.

4-يدل الكتاب أيضا على المنهج الذي كانت تنتهجه مدرسة الكوفة النحوية في بحثها لقضايا النحو، في التأليف ولابد من الإشارة إلى أن هذا الكتاب هو المرجع الكبير الذي ضم آراء هذه المدرسة بقلم أحد أئمتها.

ويجد الباحث فيه أن ثمة ثلاثة اتجاهات أدار عليها الفراء البحث النحوي وهي:

الأول: الاتجاه البنيوي أو التركيبي: وهو اتجاه يبحث عن خصائص التركيب اللغوي على ما جرى عليه اللسان العربي.

الثاني: الاتجاه الدلالي: وهو اتجاه يبحث عن دلالة الكلام الذي توضحه أحكام النحو وتعدد الحالة الاعرابية لتحديده.

الثالث: الاتجاه الصوتي: وهو اتجاه ليس فيه للبنية حكم ولا للمعنى مدخل وإنما تجد العلة صوتية ذات حكم مؤثر في تأدية الكلام وقد بدأت الدراسات الصوتية عند علماء العرب بعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي.

قال الدكتور: **مهدي المخزومي**:" فلم أجد نحويا من النحاة الأولين أحس بضرورة الدراسة الصوتية لفهم أسرار العربية غير الخليل بن أحمد، وأقواله فيما أملاه على سيبويه وما أملاه على الليث بن المظفر وما نقله اللغويون عنه كالأزهري في كتاب" تهذيب اللغة " وابن دريد في (كتاب الجمهرة) تدل على أن له فكرة تحمل الخطوط الكبرى لهذه الدراسة[3].

2-وقد نقل قول (برجستر آسر) حيث يقول " لم يسبق الغربيين في هذا العمل إلا قومان من أقوام الشرق وهما- أهل الهند- يعني البراهمة- والعرب.وأول من وضع هذا العلم من العرب الخليل بن أحمد الفراهيدي[4] وتلقاه أبو زكرياء الفراء.

قال الدكتور مهدي المخزومي:" لا أعلم أحدا من الكوفيين عرض لمخارج الحروف قبل الفراء وترتيبها عنده وهو ترتيبها عند سيبويه كما جاء في كتابه إلا أنه خالفه ..." [5].

وكان للفراء من المنهج الكوفي الذي استند إلى منهج القراء هذا التميز في الدراسة الصوتية وقد امتحنها في دراسته التطبيقية على القرآن الكريم فنبه على كثير من القواعد الصوتية مادعت المناسبة إلى ذلك.

ولا بد من التذكير أن في (معاني القرآن) الشيء الكثير في موضوع الدراسة الصوتية نخصص له بحثا خاصا إن شاء الله تعالى منهج القراء في معانيه:

وللقراء بمعرفته العربية والأدب والقرآن وبوجوده في عصر الاختيار تهيأت له ظروف ساعدته على أن يختار قراءة من بين مروياته.. ذكر الإمام الداني اختياره وقال:

وابن زياد وهو الفراء: له اختيار ما به خفاء

عليه بواضح الإعراب وما رواه من ذوي الألباب [6].

والأمثلة الآتية تقرب أكثر من الأسس التي بنى عليها اختياره

1-قرأ الجمهور بنصب العفو في قوله ﷻ:﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [7].

قرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق "العفو" بالرفع [8].

والفراء يرى أن وجه الكلام فيه النصب والمراد:قل ينفقون العفو وهو فضل المال[9].

2-قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر والكسائي" وريشا ولباس التقوى"[10] بنصب "ولباس".

وقرأ باقي العشرة بالرفع [11]وقد فضل الفراء النصب لأنه تابع للريش[12].

3- ففي تفسيره لقوله ﷻ :﴿قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾[13] أشار إلى أن العرب تقول: هل تدري، وهتدري أي: بالإظهار والإدغام- وذكر أن القراء قرؤوا

بذلك، ثم بين أنه يختار الإظهار لأنهما منفصلان ليسا من حرف واحد ولأن القرآن بني على الترسل والترتيل وإشباع الكلام فتبيانه أفضل من إدغامه عند القراء، وإن كان الإدغام عنده كذلك صوابا لأن من القراء الكبار من أدغم [14].

4-ابن جني إلى جماعة منهم الأعرج ونعيم بن ميسرة قراءة الكذب بخفض الباء في قوله: ﷻ ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ [15] وكذلك فعل أبو حيان في البحر المحيط.

وبعد أن ذكر القراء قراءة "الكذب" بالخفض بين أن وجه الكلام النصب الذي قرأ به الجمهور.

5- قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بنصب "ثلاث" من قوله تعالى: ﴿ ثلاث عورات لكم﴾ [16] وقرأ باقي العشرة بالرفع[17] واختار الفراء الرفع وعبر عن ذلك بقوله: ﴿والرفع في العربية أحب إلي وكذلك أقرأ﴾[18].

6-في حديثه عن معنى قوله سبحانه: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾[19] قال:ووجه آخر لم يقرأ به، وذلك أن تكسر اللام في "لمن" وتريد يدعو إلى من ضره أقرب من نفعه فتكون اللام بمنزلة إلى كما قال:" الحمد لله الذي هدانا لهذا" وإلى هذا، وأنت قائل في الكلام: دعوت إلى فلان ودعوت لفلان بمعنى واحد، ولولا كراهية خلاف الآثار والاجتماع لكان وجها جيدا من القراءة [20].

7- روى الداني بسنده عن محمد بن الجهم أنه سمع الفراء يقول: أنا أقرأ لك " تعدوا"[21] بالتخفيف اتباعا لقراءة الأعمش ولا تراني أقرأها بعد يومي هذا إلا بالتشديد لأنها ذكرت عن النبيﷺ.[22] وقراءة التخفيف التي تركها الفراء حسب هذه الرواية واردة عن أكثر القراء العشرة.

8- أثناء كلامه عن إثبات الياء وحذفها من قوله تعالى:﴿ فما آتاني الله﴾[23] قال الفراء: إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه، وقد كان أبو عمرو يقرأ: ﴿إن هذين لساحران﴾ ولست أجترئ على ذلك، وقرأ" فأصدق وأكون" فزاد واوا في الكتاب ولست أستحب ذلك"[24].

9- ساق الإختلاف في قراءة " لتربوا" من قوله ﷻ ﴿ وما آتيتم من ربا لتربوا في أموال فلا يربو عند الله﴾ [25]ثم علق على ذلك بقوله" وكل صواب"ومن قرأ " "ليربوا" كان الفعل للربا، ومن قرأ "لتربوا" فالفعل للقوم الذين خوطبوا[26] فهذه الأمثلة يستفاد منها أن الفراء يعتمد في الترجيح على:

1-قوة الوجه في العربية ووضوح المعنى كما في الأمثلة الخمسة الأولى.

2-اعتماد الآثار وما اجتمع عليه القراء كما في المثال السادس

3-ما روى قراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في المثال السابع

4-موافقة المصحف الشريف كما في المثال الثامن وإذا لم يوجد لديه مرجح قبل القراءتين كما في المثالين الأخيرين [27] فالفراء في " معانيه" كان يرد إلى رسم المصحف وأنه شرط في القراءة حتى ولو كانت القراءة صحيحة تجيزها العربية.

استمع إليه يقول في قراءة الحسن"عليهم لعنة الله، والملائكة والناس أجمعون" وهو جائز في العربية وإن كان مخالفا للمصحف[28] والقراءات القرآنية في نظر الفراء سنة ولا أدل على ذلك من القراءات التالية التي تجوز عربية ولكنه لا يقرأ بها:﴿ فبما نقضهم

ميثاقهم﴾[29].قال الفراء "لم يقرأ أحد بالرفع ومن نسمعه ولو قيل جاز، ثم قال: والقـــراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية، فلا يقيمن عندك تشنيع مما لم يقرأه القراء مما يجوز"[30].

قال الفراء: خفضها الأعمش ورفعها الناس(أي الجماعة).فمن خفض أراد ذو العصـــف، وذو الريحان، ومن رفع الريحان جعله تابعا لـــ "ذو".

والعصف فيما ذكروا: بقل الزرع لأن العرب تقول: خرجنا نعصف الزرع.إذا قطعوا منـــه شيئا قبل أن يدرك فذلك العصف.والريحان: هو رزقه، والحب هو الذي يؤكل منه.

والريحان في كلام العرب: الرزق، ويقولون: خرجنا نطلب الريحان وهو الرزق عندهم.

وقال بعضهم: ذو العصف: المأكول من الحب، والريحان: الصحيح الذي لم يؤكل. ثم قـــال بعد هذا العرض:"ولو قرأ قارئ: والحب ذا العصف والريحان" لكان جـــائزا أي خلـــق ذا وذا.وهي في مصاحف أهل الشام: والحب ذا العصف ولم نسمع بها قارئا كما أن في بعـــض مصاحف أهل الكوفة.

﴿والجار ذا القربى﴾ [31] ولم يقرأ به أحد وربما كتب الحرف على جهة واحدة وهو في ذلـــك يقرأ بالوجوه، وبلغني أن كتاب علي بن أبي طالب رحمه الله كان مكتوبا:" هذا كتاب مـــن علي بن أبي طالب، كتبها" أبو" في كل الجهات وهي تعرب في الكلام إذا قرئت "[32].

والذي يلفت النظر في هذا النص جملة أمور:

1–الفراء لا يجوز القراءة بالرسم مالم تسمع القراءة وتروى عن طريق التوثيق والسند.

2– الرسم يختلف عن القراءة فنصب" ذا" وإن كان مسجلا في مصاحف أهل الشـلم لا يقرأ به في القرآن وإن كان يجوز عربيا في غيره.

3-وليست مصاحف أهل الشام منفردة في وجود بعض كلمات مرسومة على حروف لا يقرأ بها فقد شاركتها في ذلك مصاحف أهل الكوفة فقد كتب فيه" والجار ذا القربى" بالنصب ولكن هذا الرسم لا يعتد به في مجال القراءة.

ولأجل أن يؤكد أن الرسم شيء والقراءة شيء آخر ضرب مثلا لذلك من واقع كلام الناس، فالكتاب الذي وجهه علي كرم الله وجهه رسمت فيه " أبو" بالواو، والأسلوب العربي يقتضي أن تكتب " أبي طالب" بالياء ولكن القارئ العربي لا يلتفت إلى هذه الكتابة لأنه يقرأ ما كتب معتدا بالأسلوب العربي لا باللفظ الكتابي[33].

ومع ذلك فإن الفراء يقرر أنها لو قرئت كذلك " أبو" لكان لها تخريج إعرابي.

1-وكما أن الفراء يعتمد بالسماع والرواية ولا يعتمد على الرسم وحده فإننا نراه أيضا يعتمد على الرسم في القراءة التي صح سندها وتواترت قراءتها، فقراءة "إن هذان لساحران" [34] قرأ بها خمسة من القراء وهم: نافع، ابن عامر، حمزة، عاصم، الكسائي. وهي في المصاحف" هذان" بالألف.وظاهر هذه القراءة أنها لحن لأنها مخالفة لأساليب العربية. ومن ثم فإن الفراء ساق في هذه القراءة حديث عائشة الذي يؤيد هذا الاتجاه .

قال الفراء في رواية مسلسلة مسندة إلى عائشة رضي الله عنها عن ابن الزبير:" أنها سئلت عن قوله تعالى في النساء: لكن الراسخون في العلم منهم.. والمقيمين الصلاة" [35] وعن قوله في المائدة: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾[36] وعن قوله:﴿ إن هذان لساحران﴾ فقالت: يا بن أخي هذا كان خطأ من الكاتب".

ومعنى ذلك أن الذين قرأوا بها اعتدوا برسمها في المصاحف ألفا وهذا يناقض أن القراءة مقيدة بالرواية، ومن ثم فإن أبا عمرو قرأها" إن هذين لساحران" على الأصل

الإعرابي ولذلك فإن الفراء ذكر في قراءة أبي عمرو علة ذكرها أبو عمرو نفسه قال الفراء:" وقرأ أبو عمرو[37]: إن هذين لساحران" واحتج أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد أنه قال:" إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب".

وقبل أن نعرض رأي الفراء في هذه القضية تبدو لي وجهة نظر في هذه القراءة وهي أن القراء الخمسة الكبار قرءوا بها استنادا إلى السماع والرواية وليس لرسم المصحف.

وأما قراءة أبي عمرو فإنه أيضا سمعها رواية وتجنب قراءة الرسم لأنه ترجح عنده ما كان جاريا على نهج العربية، وإن كانت قراءته مخالفة للرسم .

وللفراء في هذه القراءة رأي لم يتفق فيه مع أبي عمرو لمخالفتها لرسم المصحف لأن الأقوى في نظره الرواية والرسم معا وهو ما اشتملت عليه قراءة " إن هذان لساحران" ولذلك قال ردا على أبي عمرو:ولست أشتهي على" أن أخالف الكتاب".

دفاع الفراء عن قراءة " إن هذان لساحران"

والفراء دافع عن هذه القراءة دفاعا رائعا استند فيه على لغة العرب والقياس النحوي. أما لغة العرب فقد ذكر أن هذه القراءة جاءت على لغة بني الحارث بن كعب يجعلون الإثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف أي إعراب المثنى بالألف مطلقا.

قال الشاعر:

إن أباها وأبا أباها ...قد بلغا في المجد غايتاها

وقال الآخر:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ...مساغا لناباه الشجاع لصمما

قال أبو زيد والكسائي والأخفش والفراء: هذا على لغة بني الحارث بن كعب. قال الفراء: يقولون: رأيت الزيدان، ومررت بالزيدان[38].

وحكى أبو الخطاب الأخفش الكبير: أن هذه لغة بني كنانة [39] ثم إن القراء تفاوتوا في قراءة قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ [40].

قرأ الكوفيون والمدنيون بتشديد النون[41] وقرأ ابن كثير بإسكان نون"إن"[42] وقرأ أبو عمرو" هذين" بالياء والباقون بالألف ويتضح من أوجه القراءات هذه أن: من قرأ بإسكان نون "إن" لا ضير في قراءته مادام قرأها على لغة أهل التخفيف والإلغاء. أما عمرو فقد قرأها على اللغة المشهورة على النصب بالياء. والرفع بالألف بإعمال "إن" تبعا للقاعدة المطردة المعروفة في إعراب المثنى. أما الباقون فقرأوها "هذان" بالألف مع تشديد "نون"، "إن" قال ابن الأنباري إن القياس كان يقتضي أن لا تتغير كقراءة من قرأ"إن هذان لساحران" على لغة بني الحارث بن كعب. إلا أنهم عدلوا عن القياس لإزالة اللبس[43] أما ابن كثير المكي المتوفى 120هـ فقد انفرد بتشديد نون "هذين" على لغة قيس وتميم [44].

وأما الاستدلال بالقياس النحوي، فقد كان استدلالا منطقيا تستريح إليه النفس يدل على فهم دقيق وذكاء خارق فماذا قال؟

" وذلك–وإن كان قليلا– أقيس، لأن العرب قالوا مسلمون فجعلوا الواو تابعة للضمة لأن الواو لا تعرب ثم قالوا: رأيت المسلمين، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم فلما رأوا أن الياء من الاثنين لا يمكن كسر ما قبلها، وثبت مفتوحا ثم تركوا الألف تتبعه، فقالوا رجلان في كل حال.

ومن منهج القراء في تناوله القراءات القرآنية أنه:

1–يؤمن بالسماع في القراءات

2–لا يقرأ بما تجوزه العربية

3–يحترم رسم المصحف، ولا يحاول أن يخرج عنه.

4-يستدل بالقراءات الشاذة ليقوي بها القراءات العامة التي قرأ بها الجمهور.

5-يستشهد بالشعر للاحتجاج

6-يوضح معنى القراءات بأقوال نثرية من كلام العرب كما يحاول في كثير من الأحيان أن يفسر معاني الكلمات التي اشتملت عليها القراءات.

7-يبذل جهده لتوضيح معاني القراءات المختلفة كما يستعمل مصطلحات الكوفيين، فحركات البناء عنده يطلق عليها مصطلحات الرفع والنصب والخفض، فلا يفرق في مصطلح الحركات بين حركات الإعراب وحركات البناء ومع هذا المنهج الواضح، فإن الفراء خالف منهجه في كثير من القراءات منها أولا:

8-يلحن قراءة أبي جعفر[45] مع أن أبا جعفر له وزنه الكبير في القراءات القرآنية. فهو أحد القراء العشرة، عرض القرآن على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة وعبد الله بن عباس وأبي هريرة[46] كما أنه إمام دار الهجرة بلا منازع والصحابة في الأحياء[47] وما قرأ به أبو جعفر قوي، وإن لم ترق قوته إلى التواتر، ولا يجوز للفراء أن يرمي بعض قراءات أبي جعفر باللحن ما دامت القراءات سنة متبعة.

يقول الفراء في قراءة أبي جعفر المشهورة" ليجزي قوما بما كانوا يكسبون"[48] ما نصه:" قرأ بعض القراء فيما ذكر لي:" ليجزي قوما" وهو في الظاهر لحن"[49].

والفراء لم ينسب هذه القراءة إلى أصحابها واكتفى بنسبتها إلى بعض القراء من غير تحديد مع أنها قراءة أبي جعفر وعاصم في رواية وشيبة والأعرج.

كما أنه يرمي قراءة الحسن بالقبح.

قال الفراء:" وقرأ الحسن." فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم"[50] وفيه قبح في العربية. ويعلل الفراء هذا القبح بقوله: " لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل "إلا" ذكروه، فقالوا: لم يقم إلا جاريتك، وما قام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون:

ما قامت إلا جاريتك وذلك أن المتروك "أحد" فـ" أحد" إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر ألا ترى أنك تقول إن قام أحد منهن فاضربه، ولا تقل إن قامت إلا مستكرها[51]

ومع إيمان الفراء بأن القراءة سنة متبعة، فإن الأساليب النحوية تشده شدا عجيبا لدرجة أنه يحب أن يقرأ بهذه الأساليب وإن كانت القراءة القرآنية لم تنسج على منوالها قال الفراء: قرأ يحي بن وثاب:" والذين يجتنبون كبير الإثم"[52].

وفسر عن ابن عباس أن " كبير الإثم" هو الشرك، فهذا موافق لمن قرأ كبير الإثم بالتوحيد".

ثم فسر أو تناول الفراء قراءة الجماعة فقال:" وقرأ العوام كبائر الإثم والفواحش، فيجعلون كبائر كأنه شيء عام، وهو في الأصل واحد[53].

ثم قال:" وكأني أستحب لمن قرأ كبائر أن يخفض الفواحش لتكون الكبائر مضافة إلى مجموع إذا كانت جمعا، قال: وما سمعت أحدا من القراء خفض الفواحش.

والفراء لا يكلف نفسه أحيانا بنسبة القراءة إلى أصحابها مع أن أصحابها من القراء السبعة المشهورين ففي قوله تعالى:﴿ عذاب من رجز أليم﴾ [54] يقول الفراء :" قراءة القراء بالخفض" مع أن هذه القراءة نسبت إلى أبي عمرو، ابن عامر، نافع حمزة. الكسائي، أبي جعفر، خلف، اليزيدي، الحسن، الأعمش.

ويعقب الفراء على هذه القراءة بأنه لو قرئ:" أليم" بالرفع لجاز. قال الفراء:" ولو جعل نعتا للعذاب فرفع لجاز، ولا أدري لماذا جاءت "لو" في حديث الفراء مع أن قراءة الرفع متواترة لا تحتاج إلى دليل ومع ذلك شغل الفراء نفسه بالتدليل على جواز هذه

القراءة بقوله:" كما قرأت القراء "عليهم ثياب سندس خضر"[55] وخضر" وقرءوا في لوح محفوظ" للوح و" محفوظ"[56] للقرآن [57]، وكأن الفراء مع علمه الغزير لم يقع على قراءة الرفع المتواترة فقال ما قال، وعليه فإن الفراء في كتابه" معاني القرآن" قدم لنا دراسة مستفيضة في حقل الدراسات القرآنية حيث أنه جمع بين أوجه القراءات والإعراب.

وعلم اللغة ومعرفة غريبها ضروري لمعرفة التفسير وتظهر مكانة هذا العلم في كونه يبين المعنى ويميز المعاني ولا يمكن أن يفهم النص القرآني الفهم الصحيح ما لم ينطق بكلماته النطق الصحيح.

وعليه يجب على من أراد خوض مسائل هذا العلم أن يفهم أولا معنى ما يريد إعرابه مفردا كان أو مركبا قبل الإعراب فإنه فرع المعنى، وأن يتجنب الأعاريب المحمولة على اللغات الشاذة فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش، وأن يكون ملما بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت.

كما يجب عليه أن يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة وتجنب اللفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار فإن اللفظ الزائد قد يفهم منه أنه لا معنى له، وكثير من القدماء يسمون الزائد صلة.وعبر عنه بعضهم بالتأكيد.

كما ينبغي أيضا مراعاة الرسم ومن ثم خطئ من قال في سلسبيلا أنها جملة أمرية أي سل طريقا موصلة إليها، لأنها لو كانت كذلك لكتبت مفصولة.

قال الإمام الخراز داعيا إلى التمسك بالرسم العثماني.

فينبغي لأجل ذا أن نقتفي ... مرسوم ما أصله في المصحف

ونقتدي بفعله وما رأى ... في جعله لمن يخط ملجأ [58].

وقال الإمام السيوطي"رسم المصحف متبع لاتباع السلف رضي الله عنهم[59].

فمن كتب مصحفا على مقتضى الرسم القياسي يكون قد خالف ما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم وخرج على من جاء بعدهم من الأمة [60].

كما تظهر أهمية هذا العلم أيضا في معرفة مدلول الألفاظ وأنه لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن إلا إذا علم مدلول كل لفظ وعرف معناه وأدرك استعمالات الألفاظ، بل لا بد من فهم ذلك وإدراكه لما يترتب عليه من اختلاف في فهم المسائل والنصوص واستنباط الأحكام ولهذا عقد الخطابي رحمه الله تعالى في كتابه" غريب الحديث".

بابا بعنوان :" القول فيما يجب على من طلب الحديث من تعلم كلام العرب وتعرف مذاهبها ومصارف وجوهها"[61].

وقال فيه" ملاك الأمر فيما تمس بهم إليه الحاجة منها معرفة أبواب ثلاثة وهي: أمثلة الأسماء وأبنية الأفعال وجهات الإعراب.

فمن لم يحكم هذه الأصول لم يكمل لأن يكون واعيا لعلم أو راويا له وبالحري أن يكون ما يفسده منه أكثر مما يصلحه.[62]

ومثل هذا يقال في معرفة غريب القرآن الكريم فإن الخطأ فيه يوقع الخطأ في التفسير والبعد عن الصواب حتى من طرف العلماء.

قال الإمام الزركشي رحمه الله تعالى:" وهذا الباب عظيم الخطر ومن هنا تهيب كثير من العلماء تفسير القرآن وتركوا القول فيه حذرا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين"[63].

ولهذا اتجهت طائفة من العلماء لتفسير ما يحتاج إلى بيان من ألفاظ القرآن والحديث، وسمي هذا العلم(غريب القرآن) (وغريب الحديث) ولم تكن هذه التسمية لهذا العلم هي

الوحيدة في أول الأمر بل كان يسمى" معاني القرآن" وذلك ما فعله الإمام الفراء والزجاج والأخفش وابن الأنباري. وقد ورد في الحديث " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"[64].

قال السيوطي"المراد بإعرابه:معرفة معاني ألفاظه.وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة[65]، وهناك كتب كثيرة في مجال هذا الموضوع لمؤلفين قدامى ومتأخرين من أشهرها

1-كتاب: إعراب القرآن" للزجاج" المتوفي سنة 311هـ وطبعه بهذا الإسم أخيرا فيما أعلم الأستاذ الأبياري في ثلاثة مجلدات. وذكره ابن النديم في " الفهرست" [66] بعنوان" معاني القرآن " .

2-وكتاب"إعراب القرآن المجيد" للسفاقسي" المتوفى سنة 742هـ

3-وكتاب"إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه" النحوي المتوفى سنة 370هـ وقد نشرته دار الكتب المصرية [67].

نفعنا الله بتراث أمتنا وجعل أعلامها نجوما نهتدي بها لمعرفة لغتنا الجميلة التي نزل بها كتاب الله العزيز فزادها شرفا وجمالا ورحم الله الشاعر حين قال:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي.

الهوامش

1-إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع. تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (ت 665) تحقيق وتقديم إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه.

2-إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى: منتهى الأماني والمسرات في علم القراءات- تأليف العلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا(ت 1117هـ) حققه وقدم له الدكتور شعبان محمد إسماعيل- عالم الكتب -بيروت- مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

3-الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها. تأليف.د. حسن ضياء الدين عتر- دار البشائر الإسلامية- بيروت لبنان ط 1.

4-إعراب القرآن لأحمد بن محمد بن اسماعيل أبي جعفر النحاس تحقيق. د. زهير غازي زاهد. عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ط 2.

5-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط 2. دار الفكر.

6-تأويل مشكل القرآن – تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ)شرح ونشر السيد أحمد صقر ط.2- 1993-م دار التراث القاهرة.

7-جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي (ت643هـ) تحقيق. د. علي حسن البواب- مكتبة التراث- مكة المكرمة ط1- 1408هـ- 1978م.

8-الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد- تأليف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي(ت377هـ)- تحقيق بدر الدين قهوجي بشير جويجاتي- مراجعة عبد العزيز رباح- أحمد يوسف الدقاق دار المأمون للتراث بيروت.

9-دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبرى المفسر. د. لبيب السعيد- دار المعارف- القاهرة.

10-طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري- مراجعة وتحقيق علي محمد الضباع.ط1. شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

11-غيث النفع في القراءات السبع لعلي النوري الصفاقسي المكتبة التجارية الكبرى- دار الفكر- بيروت.

12-في اللهجات العربية. د. إبراهيم أنيس ط3- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة.

13-معاني القرآن- تأليف أبي زكرياء يحي بن زياد الفراء (ت 207) عالم الكتب، بيروت.

14-همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للسيوطي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

15-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات. تحقيق علي النجدي القاهرة 1386هـ.

16-مدرسة الكوفة.د. مهدي المخزومي، مصر، شركة مصطفى الحلبي ط2 1958م.

17-المظهر الصوتي والإملاء:د. محمد البكاء كاظم. مجلة الحرف تربية كربلاء لسنة 1974.

18-منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي د. محمد كاظم. 1985م.

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾

"سورة البقرة، الآية 120"